اللَّمحات الرّافعات للتّدهيش عن مَعَانِى صلوات ابن مشيش "
لِسَيِّدى مُصْطَفَى البَكْرِىّ -رضى الله عنه-
مخطوط
***

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذى جعل الصلاة والتسليم على حبيبه السيد الحبيب العظيم ، باباً موصلاً إلى دخول دار النعيم لا يتعلق أبداً ، ولا يمنع من ولج فيه شرب التنسيم ، ومرشداً كاملاً يسير بالمقتفى السبيل القويم يهديه إلى الصراط المستقيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المخاطب بقوله : { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ } ، نبى من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشراً ، فيناله من فضل جسيم -صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أولي التمجيد والتكريم ، وعلى التابعين لهم بإحسان ما صلى عليه محب بذكره يهيم.

فيقول الفقير الحقير إلى عفو ربه الرحيم مصطفى بن كمال الدين بن على الصِّديقى منحه الله البر العميم ، وأطلق مسعه وبصره ليبصر الملاح الروحانين ، ويسمع صوتهم الرخيم.

يقتضى الحق سبحانه وتعالى سحر ليلة الثلاثاء السابع من ذى القعدة الحرام سنة ألف ومائة وسبعة وثلاثين ، من أحسن الله منها الختام ، فكانت ساعة مباركة ثغر صباح تجليها بالبسط بسام ، فوقع شرح صلوات الكامل المقدام سيدى عبد السلام فى يدى ، وهو الشرح الذى جاد به الحق على عبده ذى الفقر التام المسمى ب " الروضات العرشية فى الكلام على الصلاوت المشيشية.

وكنت قد شرحتها وأنا فى هذه الديار الإسلام بوليه حماها الله من كل بلية ، شرحاً وسطا سميته كروم عريش التهانى فى الكلام على صلوات بن مشيش.

ثم شرحتها آخر مختصر اسميته فيض القدوس السلام على صلوات سيدى عبد السلام ، فلما نظرت فيه ولاحت فيه بعض خوافيه ، بتدلى معانى فى الصلوات لم تكن لاحت فى شروح السالفة ، فأخذت قلم التسطير ونظرت لوارد التقدير وركبت سفينة التحرير ، بعد ما فتحت قلوع الضراعة للخبير العليم ، وقلت :

{ بِسْمِ اللهَّ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ }
ما يأتي الكتابة عليها مع بعض زوايد فى نحو ساعة أو أكثر ، والقلب أواه ، وقلت الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، وسميته " اللمحات الرافعات للتدهيش عن معانى صلوات ابن مشيش "٠

فأول ما جرى به قلم البيان فتحرك لرسمه البنان قوله :
(اللَّهُمَّ) أى : يا الله٠
(صَلِّ) أىْ : أَثْنِ أَوْ شَرِّف أو كَرِّم٠
(عَلَى مَنْ) : أى الذى
(مِنْهُ) والضَّمير يَرْجِع فيه إلى رسُول الله -صلى الله عليه وسلم- بقَرينَة المقام ، أى مِنْ سِرِّه الأَعْظَم ، وبَدْر كَمَالِه الأُخَم٠

(انْشَقَّت) أى : انْفَتَحَتْ غُيُوب سماوات المَعَارِف فانْفَتَحَتِ٠
(الأَسْرَارُ وَانْفَلَقَت) صَخْرَةَ بَحْر العَوَارِف فبَهرتِ٠
(الأَنْوَارِ ، وَفيهِ) -صلى الله عليه وسلم-، أى : فى حَوز دائرة إحاطته الجامعة لكُلِّ شَىٍ مِمَّا قُدِّر له فى الأزَل ، وقُسِم له فى حَضْرَة الغَيب الذى لَمْ يَزَلْ

(ارْتَقَت) أى : عَلَتْ ونَمَتِ٠
(الحَقَائِقُ) فوَقَفَتْ عِنْد حُدُودهَا ، ووُفِّقَتْ لدَوَام شُهُودِهَا ، وعَلِمَت له الأمرَ عَلَى ما هو عَلَيْه ، ولم تَزَلْ تَرتَقِى إلى ما لا نِهايَة له ولا غاية لَدَيْه ، وكان هو المُرَقِّى لَهَا فى عَظِيم تِلْك المَرَاقِى ، والمُغَذِّى لها بِغِذَاء الإمداد والسَّاقِ٠
فهو البَحْر الذى سارَتْ به فُلْكُ سائر المَوْجُودَات ، أَقْلَعَتْ وأَرسَتْ فيه سُفُنُ المَوهُومَات والمَشهُودَات والمَعقُولات٠

(وَتَنَزَلَتْ) مِنْه إلَيْه ، أو به عَلَيْه٠
(عُلُومُ آدَمَ) الأسمائيَّة٠
(فَأَعْجَزْ الْخَلَائِقَ) فَهْمُ تِلْك الأسرار الربَّانية ، فكَيْف لَو أبرز عُلُومَه الذَّاتيّة التى قَد خَصَّه بها عالِم الجَهْر والخَفيّة٠
فَعُلُومُ آدم -عَلَيْهِ الصَّلَاة والسَّلَام- مِنْ حَضْرَة { قاب قَوسَيْن } ، وعُلُومُه -صلى الله عليه وسلم- مِنْ حَضْرَة { أَوْ أَدْنَى } المُخْتَص بها دُونَ غَيْرِه٠

(وَلَه تَضَاءَلَت) أى : تَصَاغَرَت٠
(الْفُهُومُ) العَرْشيِّة ، وتَقَاصَرَتْ عَنْ العُرُوج إلى سُدَّته العَليَّة العُلُومُ الفَرشِيَّةُ٠
(فَلَمْ يُدْرِكْهُ) عَلَى التَّحْقِيق الأَتَمَّ والتَّدْقِيق الأَعَمّ الذى لِلشُّكُوك ماحٍ وماحق٠

(مَنَّا) مَعْشَرَ الكائنات.
(سَابِقٌ) فى الرُّتْبَة أو الوُجُود.
(وَلَا لَاحِقٌ) فيهما.

(فَرِيَاضُ) جَمع روضة.
(المَلَكُوتِ) مُشتَقّ مِنَ المُلْك ، وهو عبَارَة عَن عالَم الغيب المُختَصّ بالنُّفُوس والأرواح فى الاصْطِلَاحِ.
(بزَهْرِ) نُور بَديع.
(جَمَالِهِ) الفائق.
(مُونِقَةٌ) أى : مُبْتَهِجَة.

(وَحِيَاضُ) جَمع حَوْض.
(الجَبَرُوتِ) مُشْتَقٌ من الجَبر ، وهو : القَهر. ويصح أن يكون من " جَبَرْتُ الفَقِير " أَغْنَيْتُهُ.
(بِفَيْضِ) أى : بِسَبَب فَيض.
(أَنْوَارِه) المُحَمَدِيَّة.
(مُتَدَفِّقَةٌ) أى : مُتَصَبِّبَة ، والفيض فى اللغة يطلق على نِيل مِصْر ونِيل البَصْرة.

وكأن الأنوار المحمدية لما كان مددها طامّ ، وإسعافُها وإسعادُها عامّ ، ويأتى غالباً بِلُطفٍ ولِينٍ على قَدْرٍ معلومٍ وقياسٍ مَكينٍ ، سُمى : فَيْضاً.
ولو جاء الفَيْض النِّيلّى ، أَو النَّيلىّ بضد ذلك ، لضاقت به المسالك وهلك السّالك.
فالعطا بقدرِ ما يُريح أو يُزيح الغطَا ، فَهُو العَطَا ، فإن الشّىء إذا تجاوزَ عَنْ رَسْمِه وحَدِّه ، وُصِف بِضدِّه.

وهو -صلى الله عليه وسلم- على حدّ ما قال صاحِب الوتريّات :

جَوَادُ إذَا أعطَاكَ أغنَاكَ جُودُهُ * بِحَارُ النَّدَى فى كَفِّه تَتَمَوَّجُ

(ولا) نافية للجِنْس (شَىْءَ) اسْمُها (إلَّا) أداة حَصْر.
(وَهُوَ) أى الشَّىء (بِهَ) صلى الله عليه وسلم- (مَنُوطٌ) به مُتَعَلِّق.
(إذْ) تعليل (لَوْلَا الوَاسِطَةُ) العُظْمَى ونُوَّابُه فى الوساطة للمَقَرّ الأعَزّ الأحمْىَ.
(لَذَهَبَ) أى : فَنَى وانْعَدَم.
(كَمَا قِيلَ) أى : كما قاله بعض الأكابر ذوِى القَدَم مِن القِدَم.
(المَوسُوطُ) أى : المُستَنِد إلى الواسطة ؛ فإنَّ الأسباب والوسائط لا تُنكَر ، ومَنْ أنكَرَهَا فَلِجَهْلِه أَنْكَرْ ؛ حيث لم يتعرَّف بِمَعرُوفِهَا بَل تَنكَرْ.

(صَلَاةً) مَنْصُوب ب (صَلِّ)
(تَلِيقُ) أى : تَصْلُح أنْ يُعَلَّق المادحُ لِكَمَالِهَا .
(بِكَ) أى : بِعَلِىّ صِفَاتك ، أن تُهْدِى تِلك الصَّلَاة الكامِلَةَ.
(مِنْكَ) أى : مِن حَضْرَةِ قُربِك الخاص.
(إِلَيْهِ) أى : إلى ذاتِه الشَّرِيفةَ المُقَدَّسَة التى فى بَحْر النُّور الكَمَالِىّ مُنغَمِسَةٌ.
(كَمَا) لِلتَّشبِيه أو التَّعلِيل.
(هُوَ) -صلى الله عليه وسلم- (أَهْلُهُ) أى : مُسْتَحِقّ له.

(اللَّهُمَ إِنَّهُ سِرُّكَ الجَامِعُ) لِكُلِّ سِرّ مُحيط بالأسرار جامِع ؛ إذ هو -صلى الله عليه وسلم- خَطِيب ذَلِك المنبَر ، وإمام ذَلِك الجامِع ، فَلِذَا كان عَلَى الحَقِيقَة هُو لا غَيْره.

(الدَّالُّ عَلَيْكَ) والمُوصِل مَنْ سَبَقَتْ له منك العِنايَة ، ولَحَظَتْه عُيُون الهِدَاية والرِّعَايَة إلَيك ، فكُلُّ دليلٍ سواه فإنَّه يُرشِد ويَهدْى لِكِن من وَجْهٍ ، لا من كُلِّ وجه معرُوفُه يُسْدَى ، بخلاف السَّيِّد المالك ؛ فإنَّه كَذَلِك لِجَمْعِيَّتِه لكُلِّ ما هُنالِك مِمَّا يحتاجُه السَّالك فى جميع المسالِك.

(وحِجابُكَ) أى : السَّتر الحاجز مِنْ وصول المَهَالِك.
(الأَعْظَم) أى أعظَمُ الحُجُب المانِعة من العُبُور فى مَهَامِة المخاوف التى ظلامُها حالك ، وهو الحجاب الأعظم الذى يَحجُب مَن رام الدخول من غير بابِه ، ويَطردُ من أَمِل أن يَستَقى من لُبابِه بغير كاس اقترابِه.

وقَد أَشار لهذا سيِّدى مُحَمَّد البَكْرِىّ -رحمه الله تعالى- بِقَوْلِه :

وأنْتَ بابُ اللهِ أَىُّ امْرِئٍ * أَتَاهُ مِنْ غَيْرِكَ لَا يَدْخُلُ

وهو الحجَاب الأعظم المانع لِلنَّار يَوم الهول الأكبر أن تَهْجم ؛ إذ تَنْطَلِق وتَزْفِر على أهل المَحْشَر ، والحاجز الأكبرُ من الوقوع فى الضَّلال ، والآخذ بيَد أُمَّتِه فى سائر المَوَاقِف ذات الأهوال.

ولمَّا وصفه بأنَّه الحِجَاب الأعظَم الذى لا أرقَى مِنه ولا أعلَى ولا أفخَم ، عَلِمْنا أنَّ مقامه الرَّفيع هو سِدْرة مُنتَهَى المقامات ، فلا تَقدِر العُقُول العَرشِيَّة أن تَتَصَوْرَه فى حالٍ من الحالات ؛ إذْ هو السَّمَاء التى ما طاوَلَتْهَا سَمَاء ، وكُلُّ مَنْ سَمَا فَبِسُمُوَّه سَمَا ٠

ورَحِم اللهُ البوصيريِّ وقدَّس سِرَّه الذى نَمَا ؛ حيث قال وأبدع فى المقال :

كَيْفَ تَرْقَى رُقِيِّكَ الأَنْبِيَاءُ * يَا سَمَاءً مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ
لَمْ يُسَاوُوكَ فِى عُلاَكَ وَقَدْحَا * لَ سَنىً مِنْكَ دُونَهُمْ وَسَنَاءُ

ثُمّ قال المؤِّلف -رحمه الله تعالى- :
كَوْنُه الحِجَاب الأَعظَم وجَعله وصْفاً مُبِيناً لِمقامهِ الأقدَم٠
(القَائِمُ) على الدَّوام قيَاماً كُلِّيًا لا يُماثِلُه قِيَام٠

(لَكَ بَيْنَ يَدَيْكَ) وَفَاءً بِحَقِّ العُبُودِّية ، وإقبالاً كاملاً مِنه عليك بِكمال الجَمعِيّة ، وإذا كان دائمَ القِيامَ فى حَضْرَة القيُّوم ، حُجِب كُلُّ مَنْ عَداه عَنِ التَّقَدُّم لِلارتْقَاء المُحَقّق المَعلُوم٠

(اللَّهُمَّ أَلْحِقْنِى) إلحاقاً تامًّا ظاهِراً وباطناً٠
(بِنَسَبِهِ) الدِّينِّى والطِّينىّ٠
(وحَقِّقْنى) تَحْقِقاً عامًّا (بِحَسَبِهِ) العَيْنِىّ٠
(وَعَرِّفْنِى إِيَاهُ) بِمُشَاهَدَة مُحَيَّاه ، وشُرْب حُمَيَّاه٠

(مَعْرِفَةً) خاصّةً أَمْتَاز بِهَا عَن أَقْرَانِى ، وأَجْتَاز بِمَدَدِها السّبْحانِىّ الرَّبانِىّ٠
(أَسْلَمُ) أى : أَنجُو (بِهَا) أى : بتلك المَعرِفَةَ الخاصَّة٠
(مِنْ مَوَارِدِ) جمع " مورود " وهو مَوردالوُرُود٠
(الجَهْلِ) ضِد العِلم ، فلا أَتُوه فى ذلك التِّيه الذى من جُمْلَة ما يَدْعُو إِلَيْه العُجْب والتِّيه٠
(وَأَكْرَعُ) أى أَتَنَاوَل بِفَمِى (بِهَ) أى بسَبَب تِلك المعرفة٠
(مِنْ مَوَارِدِ الفَضْلِ) والفَضْل هو الخَيْر٠

(وَاحْمِلْنِى) أى اجْعَلنِى مَحْمُولًا (عَلَى) مَتْن (سَبِيِله) لأَكُون مِمَّن يَسِير به لا ممَّن سار ؛ فإنَّ الأَوَّل مُعَانٌ ، والثَّانى مُتَعَرض لِلأخطار ، مُوصِلاً ذَلِك الحَمْل٠

(إِلَى حَضْرَتِكَ) الرَّفِيعَة المَنَار .
(حَمْلاً) مَفعُول مُطْلَق (مَحفُوفاً) أى مَحُوطاً مُطَوَّقاً .
(بِنُصْرتَكَ) أى : بِمعُونَتِك ؛ لئَلاَّ تَصِلَ إلىَّ يَد القواطِع والمَوَانِع ، ولأَصْرِف بِهَا كُلّ صارِف يَرُوم صَرْفى عَنْك بِمَعْرِفَة ما لِلصَّرف من الموانع.

(وَاقْذِفْ) أى ارْمِ (بِى عَلَىَ الْبَاطِلِ) الذى هو ضِدّ الحَقّ.
(فَأَدمَغُهُ) أى : فَأَمْحِقَهُ بِنُور حَقِّيَّةٍ تُذْهِب ظُلْمَةً باطليَّةً ، تَبْدُو مِن فَيْض حَضْرَة اسمك " الحق " ، فأكُون مظْهَراً لِلحَقّ ، فلا يقابلُنى باطِلُ إلا زَهَق وانْعَدَم ، فَأُمْسِى بِفَضْلِك نُوراً مَحْضاً ، وزُبْدَ عُلومٍ أبْرَزَتْهَا يَدُ العناية فلم تَحْتَجْ مَخْضاً .

(وَزُجَّ بِى) أى ادْفَعْنِى بِرِفْقٍ (فِى بَحَارِ) جمع " بَحْر " مَشَاهِد.
(الأَحَدِّيةِ) وهى عِبارة : عن تَجَلٍّ ذاتِىٍّ لَيْس للأسماء والصِّفات فيه ظُهُور ، ولا شَىءَ مِن مُؤَثِّراتَهَا .
والأَحَدِيَّة مَنْسُوبَة إلى : " الأَحَد " ، وهذا الاسْم ذاتِىّ وصِفَتُه الأَحَادِّيَة.

كُلُّ مَنْ تَجَلَّى عَلَيْه الحَقّ سُبْحَانَه وتَعَالى بِهَذَا الاسم ، استَغرَقَه فِى عَيْن الجَمْع المُعَبَّر عَنْه ب " تَجْرِيد التَّوْحِيد " ، واسْتَهْلَكَه فى بَحَارِ التّفْرِيد ، فَعَاد حَرْفًا مَمْحُوًّا مَطْمُوساً ، وسِرًّا خَفِيًّا لا مَجْهُوراً به بَل مَهْمُوساً.

وهذا حالُ أهْل الوِصَال ، وكُلّ من حُبِى به فَلَيْلَتُه لَيْلَة القَدْر ، ويَوْمُه يَوْم جُمُعَة إلى آخِر الدَّهر.
كَما أَنّ مَنْ تَجَلَى عَلَيْه الأحَد ، وأفرَدَه له عَنْ كُلِّ أحدٍ ، عادَتْ لَيَالِيه يُقَال فيها " لَيلَة الأَحَد".

وكُلُّ مَنْ اجْتَمَع بِمَحْبُوبِه وفاز بِوَصْل مَرغُوبِه ومَطْلُوبِه ، قيل فى سائر أيامه " يَوْم جُمُعَة " ؛ لأن المُنَى عَلَيْه فيه قَدْ جَمَعَه..
وأشار لِهَذَا سِيِّدى عُمَر بن الفارض -قَدَّس الله سرَّه :

وكُلُّ اللَّيَالى لَيْلَةُ القَدْرِ إِنْ دَنَتْ * كَمَا أَنَّ أَيَامَ اللّقا يَوْمُ جُمْعَة

(وَانْشُلْنِى) بِيَد عِنَايَة قُدْسِيَّة ورِعَايَة أُنْسِيَّة٠
(مِنْ أَوْحَالِ) جَمْع " وَحُل " وهو : الطِّين الرَّقِيق ، والمُراد بِهَا : الشُّبُهَات العارِضَة لِلسَّائر فى سُلُوك مَفَاوِز٠
(التَّوْحِيدِ) الخاصّ بالأخيار ، لأسْلُك ذلك الطَّرِيقَ بِدُون تَعْوِيق٠
(وأَغْرِقْنِى) فَضْلاً مِنْك وَجُوداً ؛ كَىْ لا أرَى لى اسْماً ولا وُجُوداً٠
(فِى عَيْنِ) أى حَقِيقَة (بَحْرِ الوَحْدَة) العَلِيَّة ؛ لأفنى عَنْ مُلَاحظَة السِّوَى وعَنِّى بالكُلِيَّة٠

(حَتَّى) إلى أن (لَا أرَى) بِعَيْن بَصَرِى وبَصِيرَتى٠
(وَلَا أَسْمَعَ) بِسَمْع عَلَانِيَتى وسَرِيرَتى٠
(وَلَا أَجِدَ) وجداً ووجداناً٠
(وَلَا أُحِسَّ) كَشْفًا ظاهراً وإيقاناً٠
(إِلَا بِهَا) أى : بالوَحْدَة ، فأحظَى بِقرْبِى الفرائِض النَّوافِل ، وأرْتَقِى بِمَوَارِد التَّجَلِّى الأعْلَى عَنْ كُلِّ وَصْفٍ سافلٍ٠

(وَاجْعَل) بالْجَعْلِ التَّخْصِيصىّ (الحِجَابَ الأَعْظَمَ) الذى وصْفُه تَقَدَّم٠
(حَيَاةَ رُوحِى) فأُدْرِك ذلك بِمَدَدِك السُّبُّوحىّ ، وأركَب سَفِينة النَّجاة بذلك المَشْهَد النُّوحِى ، وأقُول لنفْسِى : إنْ لَمْ تُدْرِكِى ذَلِك فَسُحِّى الدُّمُوعَ ونُوحِى ؛
فإنَّ لهذا المَذَاق الشُّهُودِىّ الأَحْلَى يَفُوق اللَّذَّات التى ضِيَاؤُهَا يُوصَف بالأَجْلَى٠
وإلى هذه الخَمْرَة المعْنَوِيةِ الصِّرفَة الحَلَال يُشِير مَنِ انتسَم بأشرف الخِلَال بِقَوْلِه :

عَلَى نَفْسِهِ فلْيَبْكِ مَنْ ضَاعَ عُمُرُهُ * وَلَيْسَ لَهُ مِنهَا نَصِيبُ ولَا سَهْمُ

(وَرُوحَهُ) أى : واجْعَلْ رُوحَه المُحَمَّدِيَّة المُمِدَّةَ لِسَائِر الأرواح مَشْهُودَةٌ لى بأمناح٠
(سِرَّ حَقِقَتِى) وباطِنِ رَقِيقَتى ، فتَقْوَى على حَمْل المَوَارِد ، ويَخِفّ عليها حِمْلُ كُلِّ سِرٍّ شارد ، وَتَسْطِع أنوارُها عَلَىَّ ، وتَلْمَع بَوَارِق أسرارِها لَدَىّ ، وأُعَينُهَا فى مَرْكَزِهَا الأصلىّ العَرْشىّ ، وأغْتَرِف مِنْهَا فِى تَنَزُّلها الفَرْشِّى ، وتُرْفع بَيْنِى وبَيْنَهَا الغَوَاشى بَهذا الجَعْل التّأيدىّ ، وتَطلْع أضواء شَمْسهَا الباهِرَة فى المَنْزِل الوَرِيدِىّ٠

فأعْرِف بِهَذا الإمداد ذاتِى ، وأَفُوز بِوَافر لَذَّاتِى ، ويَسْتَقرّ قَدَم صِدْق عُبُودِيَّتى فى مَقْعَد العنْدِيَّة ، وأَتَنَعَّم فِى ذلك المَشْهَد بالاتِّصَاف بالأوْصَاف العَبدِيَّة.

فإنَّ رُوحَه المُحَمَّدِيَّة : هى المُمِدَّة لِسائِر الحقَائِق عَلَى قَدْر اسْتِعْدَاد كُلُّ واحدٍ مِنَ الخَلَائِق ، غَيْرَ أَنَّ ثَمّ مَنْ يَجْهَل ذلك ، وقَدْ سار فى الظَّلام الحالك ، وآخَر يُدْرِكُه عِلْمًا وهَذَاسالِك ، وآخَر يُدْرِكُه كَشْفًا وهَذَا مالِك ، وآخَر بِمَا هو أَعْلَى مِنْه ، إلى ما لا يتناهى مِنَ المَسَالِك والأذْوَاق الرَّفِيعَة ، التى كَمْ هَلَكَ فيها لَذَّة هالِك ممَّا لَم يَخْطُرْ عَلَى بال الكُمَّل ، فكَيْف بِبال بالٍ كَبَالِى وبالك ؟

(وَ) اجْعَلْ (حَقِيقَتَهُ) المُحَمَّدِيَّةَ التى هى حقيقة الحَقَائِق ، ويَنْبُوع الرَّقَائِق ، ومَجْمُوع الدَّقَائِق.
(جَامِعَ عَوَالِمِى) الظَّاهرة والبَاطِنَة ؛ لِتَسْتَمِدّ مِنْه كُلُّ ذَرّةٍ مِنْ ذَرَات وُجُودِى ، فَيَسْمُو بِهَذَا الاسْتِمْدَاد شُهُودِى ، وأعْرِف نَفْسِى فأعْرِف مَقْصُودِى ، وأُطْلَق من حَبْسِى وأُفَكّ من قُيُودِى.

إذ حَقِيقَتُه -صلى الله عليه وسلم- دائِرَتُهَا جَمَعَت الأواخِرَ والأوائلَ ، وأَحَاطَتْ بِكُّلِ مُحَاطٍ مَدَداً ، وإسعاداً بِغَيْر حاجبٍ مانعٍ وحائِل ، وأمَدَّتْ كُلُّ شَخْصٍ بِمَا تَقْتَضِيه حقائِقُه وعَوَالِمُه ؛ فشَقِى من شَقِى ، وسَعِدَ الذى لِجَنَابِه مُسْتَنِد ومائِل ، فكُلُّ مَنْ أرشَد ودَعَا فعَنْ وساطتِه وعَنْ فَيْضِه مُتَكَلِّم وقائل.

(بِتَحْقِيقٍ) أى : أُقسِمُ عَلَيْك وأَتَوَسَّل لَدَيْك فى إجابة دُعَائِى وقَبُول طَلَبِى ورَجائِى بِسِرِّ تَحقيق.
(الْحَقِّ الأوَّلِ) الذى هو القَلَم الأَعْلَى والدُّرَّة البيضاء ، والعَقْل الأوّل ، والنُّور المُقَدَّم الذى عَلَيْه المُعَوَّل.
المُخَاطَب ب [لَوْلَاكَ لَوْلَاكَ لَمَا خَلَقْتُ الأفْلَاك]

أو المعنى : أُقْسِم عَلَيْكَ بِثُبُوت الحَقّ المَوْصُوفُ بالأوَّلِيَة التى لَيْسَ لها ابْتِدَاء ولا آخِرِيَّة ، التى لا تُنْعَت بالانْتِهَاء ، فَيَكُون القَسَم به على بابِه ؛ لأنَّه لا يُقْسَم عَلَى الحَقّ بِغَيْر صِفَاتِ قُدْسِ جَنَابِه.
وَيَصِّحّ القَسَم عَلَيْه تَعَالَى بِحَبِيبِه الأَعْظَم عَلَى قَوْلِ بَعْضِ مَنِ ارْتَقَى وتَقَدَم.
ويُقَال جواباً لِمَنْ مَنَع " أُقْسِم " : المراد التَّوسُّل.

(يَا أَوَّلُ) فلا أَوَّلَ لأَوَّلِيَّتِه (يَا آخِرُ) فلا آخِرَ لآخِرِيَّتِه (يَا ظَاهِرُ) فلا يَخْفَى مِنْ حَيْث ما إِلَيْنَا مِنْه (يَا بَاطِنُ) لا يُدْرَك مِنْ حَيْث الذَّات والكُنْه٠

(اسْمَعْ) أى : تَقَبَلْ واستجِبْ (نِدَائِى) فإِنَّك السَّمِيع القَرِيب المُجيب٠
(بِمَا) أى : بالسِّرّ الذى (سَمِعْتَ) أى : قَبِلْتَ واسْتَجَبْتَ٠
(بِهِ) الضَّمِير راجع لِلسِّرّ (نِدَاءَ) ابْتِهَال وتَضَرُّع٠
(عَبْدِكَ) المُضاف إِلَيْك إِضَافَةَ تَشْرِيفٍ وتَخْصِيصٍ وتَقْرِيبٍ وتَنْصِيصٍ٠
(زَكَرِيَّا) بن بَرَخْيَا مِنْ وَلَد سُلَيْمَان بن دَاوُد -عَلَيْهِمُ الصَّلاَة والسَّلاَم٠

(وَانْصُرْنِى بِكَ) أَىْ : بِمَدَدِك الأَشْمَل (لَكَ) أى : لنَصْرَة دِينِك الأكْمَل مع الفَتْح التَّامّ والمَغْفِرَة لِجَمِيع الآثام٠
وهَذَا هُوَ النَّصْر العَزِيز الصَّادر مِن حَضْرَة اسْمِه " المُهَيْمِن " ، و " العَزِيز "٠

(وَأَيِّدْنِى) أَىْ : قَوِّنِى وسَدِّدنِى (بِكَ) أى : بِطَوْلِك وحَولِك٠
(لَكَ) أى : لأجْل تَسكِين جَأْشٍ مَنْ هَدّ أركانَه عَظِيمُ سَطْوَةَ هَوْلِك ؛
لأكُون وارثاً كاملاً مُحَمَّدِيًّا ، وهَادِياً إِلى صِرَاط السَّبْيل الاعتِدَالِىّ مَهْدِيًّا٠

(وَاجْمَعْ) يا جامِعَ النَّاس لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فيه٠
(بَيْنِى وَبَيْنَكَ) فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدِيَّتِك ؛
لأُوَافِيَه وحَقَّه أُوَفِّيه ، فأَفُوز بِجَمْعِيَّة ظاهِرِى وباطِنِى عَلَيْكَ ، بِمَدَدٍ يَرْفَع كَشْفَ أَسْتَارِى ، ويُوَفِّقُنِى دائماً بَيْن يَدَيْك ، وأَحْظَى بالأمان والأمانِى والعَطَا الكاشِف لِلْغِطَا النَّفْسَانِى ؛ فإِنَّ مَنْ حَصَلَت له حَصَلَ له كُلُّ شَىْء ، ومَنْ فُتَّهُ فاتَه كُلُّ شَىْء٠

(وَحُلْ بَيْنِى وَبَيْنَ غَيْرِكَ) حَتَّى لا أرَى الأغيار بِتَرادُف الأَنْوَار ، وأَغِيب بِشُهُود بَدِيع الْجَمَال الرَّفِيع المَنَار عَنْ ذَوَائِب العُلاَ وغَرَائِب المَلاَ والخَلاَ المُوجِبَة لرَدِّيَّة الأستار ، لِتَكُون سماوات رُوحانِيَّاتِى صاحِيَة ، وشُمُوسُ حَقَائِقِى ورَقَائِقِى ضاحِيَةً ، ويُفْتَح لِى باب الارْتِقَا إِلى مَنَازِل اللِّقَا والبَقَا ، ويُجْمَعَ الشَّمْل المُشَتَّت بالأحباب ، ويزُوُل التَّلَهُّفُ بالوَصْلِ والشَّكّ والارتياب٠

ولَمَّا سَمِعِ المُؤَلِفُ قَوْلَ الحَقّ جلَّ ثناؤه { قُلِ اللهُّ }
قال :
(الله) ثُمَّ نادَتْه حَقَائِق { وَاذْكُرُوا اللهَّ } فقال : { الله }.
ثُمَّ هَتَفَتْ به هواتِف { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّه } فقال : { الله }
فالمُبْتَدِى إذا قال : " الله " يُلاحِظ " لا مَعبُودَ سِوَاه ".
والمُتَوَسِّط : " لا مَقْصُودَ إلا إيّاه ".
والمُنْتَهِى : " لا مَشْهُودَ ولا مَوْجُودَ إلا قُدْسُ عُلاَه ".

فالصَّادِق إذا قال بِخَالِص الطَّوِيَّة : " الله " انفتح له باب مِنْ عالَم الشَّهَادَةَ إلى عالَم الغَيْب ، فيَخْلُّص بِهَذا العُرُوج والوُلُوج مِنَ الغَيب إلى غَيبِه وفَتْق مَرْتُوق جَيبِه.

وإذا قال ثلاثاً " الله " فُتِح له باب إلى غَيْب غَيْب الغَيْب المُقَدَّس ، واسْتَقَام بِناؤه الذى عَلَى حُضُور الحُضُور فِى حَضْرَة النُّور مُؤَسَّس.

ثمّ إنَّ المُؤَلِّف -رحمه الله تعالى- أشار بآية { إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَاد } : أنَّ الرُجُوع إلى الخَلْق لا يَكُون إلا بِعِنَايَة مِنَ الْحَقّ.

كما أنَّ السَّير إلَيْه لا يَكُون إلا بالجَذَبَات التى تُدْنِى الطَّالبَ وتُبقِيه فى تَرَقِّيه لَدَيْه ، وكُلُّ مَنْ رَجَع بِحَظٍّ نَفْسَانِّى فهو هادم لما بانِى ، ولهذا خَتَم بآية :
{ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا }
فإنَّ غَيْرِك لا يَقْدِر عَلَى ذَلِك أبداً ، بَلْ أَنْت القادر لا سِوَاك الفَيَّاض عَلَى العِبَاد سَرْمَداً.

فَنَسْأَلك اللَّهُمَ بِحَبِيبِك الذى مَنَحْتَنَا به الاِهْتِدَا ، وسائِر إخوانِه مِنَ النَّبِيِّين والمُرْسَلِين أئمة الاقْتِدَا ، وأصحابِه والتَّابعين لَهُمْ بإحسانٍ ، والسُّعَدَا والشُّهَدَا ، أنْ تَمُّنَّ عَلَيْنَا بالقُرْب المُنْجِى مِنَ الرَّدَى ، والشُّرْبِ المُوصِل لِلانْغِمَاس فِى بِحار النَّدَى ، وأنْ لا تُشَمِت بِنَا العِدا ، وأن تَجْعَلَنَا مِمَّن اهْتَدَى وهَدَى.

وصَلَّى الله تَعَالى وسَلَّم عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِه وأصحابِه ما حادٍ حَدَا ، وعَلَى أتباعِه وأحزابِه ما صباحُ فلاحٍ بَدَا ، والحَمْد لله رَبّ العالِمين خَتْماً وابْتِدَا.

انْتَهَى الشَّرْح المُبَارَك